

الأوبئة والنزاعات الدولية

"وباء كوفيد-19 وتأثيره على النزاعات الدولية"

Epidemics and international conflicts

"Covid-19-epidemic and its impact on international conflicts"

عواطف مومن

- جامعة عباس لغرور- خنثلة

aouatefmoumen@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/04/07

رفيق بوبشيش*

جامعة الحاج لخضر- باتنة-1

rafikboubchiche@univ-batna.dz

تاريخ المراجعة: 2022/04/07

تاريخ الإيداع: 2021/10/09

ملخص:

الروابط بين انتشار الأوبئة والنزاعات، خاصة في العالم النامي متنوع ومعقد. هناك إجماع جوهري في الأدبيات التي تركز على السياسة و العوامل الاقتصادية القياسية تشير إلى روابط قوية ، بين المتغيرين في كلا الاتجاهين، فمثلا مع انتشار وباء إيبولا و Covid-19 في جميع أنحاء العالم، دعت الجهات الفاعلة الدولية ، بما في ذلك الأمم المتحدة ، إلى وقف الصراع المسلح لتسهيل جهود مكافحة الوباء. وفي الوقت نفسه ، قد يؤدي انتشار وباء إيبولا و فيروس كورونا أيضًا إلى اندلاع النزاعات المسلحة. لذلك يعالج هذا المقال إشكالية العلاقة بين التهديدين " اندلاع الأمراض المعدية"، من جهة واندلاع "النزاعات الدولية" وإطالة أمدتها من جهة أخرى . توصلت الورقة إلى نتائج تشير أن حالات الإكراه والطلب على توسيع المنافع العامة تعد آليات لتأجيج الصراع، كما أن الوباء يؤدي إلى حدوث تغييرات في الممارسات الثقافية وهو ما يؤدي إلى الاضطرابات الاجتماعية، وخاصة بالنسبة للمجموعات التي تواجه تكاليف أعلى للتكيف الثقافي، وثقة منخفضة في استجابة السلطات المؤسسية للأوبئة.

الكلمات المفتاحية: النزاعات الدولية؛ الأوبئة؛ العلاقات الدولية؛ إيبولا؛ كورونا.

Abstract:

The links between epidemics and conflicts especially in the developing world, it is diverse and complex. There is a fundamental consensus in the literature focusing on policy and economic parameters suggests strong links between variables in both directions For example, with the spread of Ebola and Covid- 19 worldwide, the international actors, including the United Nations invited to the cessation of armed conflict to facilitate efforts to combat the epidemic. At the same time, the spread of the Ebola epidemic and the corona virus may also lead an armed conflict. This article therefore addresses the problem of the relationship between, on the one hand, the "outbreak of infectious diseases" and, on the other hand, the "outbreak of infectious diseases" threats. The paper concluded that coercion and demand for the expansion of public goods are considered as mechanisms of fuelling the conflict. The epidemic also leads to the changes in the cultural practices. Especially for groups that are facing higher costs of cultural adjustment. And low trust in the response of institutional authorities to epidemics.

Keywords: International Conflicts; Epidemics; International Relations; Ebola; Corona.

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

شهدت العقود الماضية ظهور أو عودة ظهور للأمراض المعدية في جميع أنحاء العالم، وهو ما ترتب عنه عواقب وخيمة على البلدان النامية، ولا سيما التأثير على الشباب، والتسبب في قلق عالمي خوفاً من تنقل العدوى بينها. ويظهر التأثير الفوري للأوبئة بشكل واضح في عواقبها الاقتصادية والسياسية في البلدان النامية، ليست فقط ككونها فقيرة وضعيفة مقارنة بالدول الغنية، بل أيضاً ككونها أكثر عرضة لظهور وتفشي الأمراض المعدية، والتي تؤدي إلى زيادة معدلات العنف والنزاعات الدولية " وعلى الخصوص النزاعات الداخلية " داخل الدولة"، كما يمكن أن تؤدي الأوبئة إلى فح الفقر، وإلى حدوث اضطرابات اقتصادية ومؤسسية، والتي بدورها تتحول إلى اضطرابات اجتماعية، لا سيما في المناطق التي تتميز بضعف مؤسسي، والتي من المحتمل أن تزيد من إضعاف الدولة.

من ناحية أخرى، يمكن أن تخلق الأوبئة أيضاً فرصة للتغيير السياسي والمؤسسي حسب طبيعة العنف المدني، وقدرة الدولة على الاستجابة لتفشي المرض، لذلك فإن فهم دوافع العنف والصراع المدني واستجابة الدولة للوباء أمر بالغ الأهمية لفهمنا للعلاقة التي تكمن بين المتغيرين في كل من الاتجاهين.

لذلك نسعى في هذه الورقة إلى معرفة العلاقة بين الأوبئة والأمراض والنزاعات الدولية، انطلاقاً من الإشكالية التالية: ما هي العلاقة بين ظهور وتفشي الأوبئة والنزاعات الدولية في كل مراحلها؟.

نحن نهدف من هذه الورقة إلى التعرف على محددات الصراع، وخاصة الدور الذي تلعبه الأوبئة في تأجيجها، والتعرف على دوافع العنف المدني في سياق الوباء، ونوع استجابة الدولة التي تغذي هذا التأثير أو تخففه دائماً، والذي يعد الأهم بالنسبة لوضعي السياسات، باعتبار أن تفشي الأمراض المعدية أخذ في الازدياد في البلدان النامية، كما تتمثل المساهمة الرئيسية لهذه الورقة في تطوير استراتيجيات لتحديد تأثير كل من الوباء على احتمالية نشوب الصراع، وتحديد المسارات الدقيقة الكامنة وراء هذا التأثير.

وتنطلق الورقة من فرضيتين التاليتين:

*- تؤثر الأوبئة على العلاقة بين مختلف المدنيين، أو بين المدنيين والدولة خاصة في غياب الثقة بين الطرفين وكذا الضعف المؤسسي.

*- يمكن أن تؤدي التغييرات التي تحدث نتيجة الأوبئة إلى حدوث اضطرابات اجتماعية.

للتطرق للموضوع تم الاستعانة بالمنهج التحليلي والإحصائي، من خلال تحليل مختلف الأدبيات والمنشورات والإحصائيات ذات صلة بالأوبئة والنزاعات الدولية والعنف المدني، والتي تم العثور عليها من خلال عمليات البحث عبر الإنترنت، والمواقع الإلكترونية للمنظمات غير الحكومية والوكالات الدولية. تم استكمال هذه المراجعة باستخدام منهج دراسة حالة من خلال التطرق إلى دراسة حالة من الأوبئة وهو دراسة حالة تأثير وباء كورونا على النزاعات في العالم، وذلك بهدف الوصول إلى تطوير تحليل بسيط للعلاقة بين المتغيرين.

أما بالنسبة لأدبيات الدراسة المتعلقة بالموضوع، نجد أن هناك دراسات قليلة حول هذا الموضوع (الأوبئة والنزاعات الدولية "وباء كوفيد-19 وتأثيره على النزاعات الدولية") و سنحاول أن نعالج الموضوع من خلال المحاور الثلاث التالية:

يعد الوباء أحد التداعيات الرئيسية للحرب ، والتي غالبًا ما يكون لها تأثير كارثي على الجنود ، وكذلك السكان المدنيين المحليين على حد سواء.

لقد فهم البشر تفاعلاتها الضارة منذ العصور القديمة ، ومن ثم تمت الإشارة إليها على أنها رفيق شيطاني. ولقد قضت آفة الوباء على العديد من الجيوش والحضارات القوية في السنين الماضية.

ويعود أقدم نزاع وصراع عالمي له علاقة بالوباء إلى الحروب البيلوبونيسية المعروفة باسم " طاعون أثينا " والتي حدثت في عام 340 قبل الميلاد ، بين أثينا وهيمنة سبارتا البيلوبونيسية. نشأ هذا الوباء في القوات الأفريقية الأثيوبية ، والذي بدوره انتشر سريعاً في شرق البحر الأبيض المتوسط في ليبيا ومصر وبلاد فارس ، عند وصوله إلى أثينا ، قضى الطاعون على الجنرال الأثيني " بريكليس " ، وحطم أيضاً القوة الهائلة للجيش الأثيني¹ ، شكل هذا الوباء ذعراً كبيراً لدرجة أنه على الرغم من التفوق العسكري لأثينا ، مات معظم المصابين ، ونجا عدد قليل جداً من الناس ، ولكن أغلبيتهم فقدوا البصر وأصابع القدمين.

بعد ذلك ، بدأت الإمبراطورية الفارسية (في إيران الحالية) الأعمال العدائية ضد الرومان التي تُعرف باسم " الحرب الماركومانية " ، مما أدى إلى قيام الجنرال الروماني " لوسيوس فيروس " بحملة عسكرية ضدها ، وبعد 5 سنوات من المعارك الشديدة ، عاد منتصراً من سوريا. إلى جانب غنائم الحرب ، وجرثومة كارثية ، والتي استعرت على المملكة لمدة 15 عاماً ، وقتلت ما يقدر بخمسة ملايين شخص ، أي ما يصل إلى ثلث السكان ، ثم انتشرت بعدها إلى خارج روما عن طريق التجارة إلى بلاد فارس و إسبانيا ومن بريطانيا إلى مصر². ووفقاً للمؤرخ الروماني " ديو كاسيوس " سجل أثناء ذروة الوباء وفاة 2000 شخص يومياً في روما ، وأهلك 90٪ من الجيش الروماني ، وقلص القوى العاملة في الإمبراطورية مما أدى على الأرجح إلى الانهيار النهائي للإمبراطورية الرومانية العظيمة.

وفي القرن الخامس الميلادي ، بعد وضع أسس المملكة البيزنطية في العاصمة القسطنطينية ، انطلق الإمبراطور " جستنيان الأول " غرباً لغرض استعادة مجد روما. استلزمت هذه الحرب إمدادات غذائية هائلة ، ونتيجة للتأثير السلبي للطقس على النشاط الزراعي في أوروبا ، تم شحن الإمدادات الغذائية من حبوب ... الخ. من الأراضي الخصبة لنهر النيل ، هذه الأخيرة كانت موبوءة بمرض الطاعون ، والذي هاجم بدوره القوات البيزنطية ، وكل الأماكن التي وقعت فيها الحروب. قام " بروكوبيوس القيصري " بتاريخ هذه الكارثة ، بأن المرض تسبب في ذروته إلى تسجيل ما يقرب من 5 آلاف حالة وفاة يومياً في القسطنطينية ، وقضت بذلك على ما يقرب من ربع سكان أوروبا. بدأ المرض بحمى خفيفة ، ولاحقاً لوحظ تورم مع انتشار بقع سوداء مليئة بالصدید على الفخذ ، والإبط وخلف الأذنين. تبع ذلك حالة تشبه الهذيان والغيبوبة ، وتعتبر هذه الحادثة أول حالة للإمداد العسكري السيئ³.

¹ سمولمان رينو ، كليف م ، أوبئة الحروب: جغرافيا تاريخية للأمراض المعدية في الصراع العسكري والحرب الأهلية ، 1850-2000 ، نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد ، 2004 ، ص. 54.

² المرجع نفسه ، ص. 66.

³ North J, The Death toll of Justinian's plague and its effect on the Byzantine empire. 2013, p.3.

كما أدى الغزو الإسباني لإمبراطورية الأزتك إلى نقل مرض الجدري من أوروبا إلى أمريكا الوسطى. وكانت تدايعياتها مشابهة لما حدث لأوروبا حيث قتل الوباء ما يقدر بنحو 8 ملايين من السكان الأصليين في أول عامين، وبحلول نهاية القرن السادس، كان هناك 23 مليوناً من أصل 25 مليون شخص قد لقوا حتفهم. شهدت مرة أخرى خلال حرب بونتياك التي سميت بالحرب البيولوجية، عندما أهدت القوات البريطانية بعض الملابس والبطنيات والملابس إلى زعماء الأمريكيين الأصليين بحجة حسن النية، وهو ما أدى إلى اندلاع وباء الجدري القاتل باعتبار أن هذه الملابس كانت موبوءة بالمرض مما أدى إلى استعمار القارة. ومن جهة أخرى سجل التاريخ حادثة أخرى وقعت في 1794، والذي قضى وباء الحمى الصفراء على القوات البريطانية، التي أرسلت لسحق الثورة الهايتية في مستعمراتها في سانت دومينيك، ووفقاً للمؤرخ البريطاني " السير جون فورتيكو"، مات ما يقرب من 5 آلاف رجل من الجيش الملكي و 1150 رجلاً من البحرية الملكية، و 6000 مستوطن إنكليزي في هايتي وجزر الهند الغربية بسبب "القيء الأسود" والتي كان سببه البعوض¹.

ما بين الحربين تم تسجيل ما يقدر بـ40 مليون شخص توفي نتيجة الأوبئة والأمراض والذي يعد أعلى معدل وفيات تم تسجيله لأي وباء، وكان من بين القتلى 670 ألف جندي، وعلاوة على ذلك شهدت الحرب العالمية الثانية عددًا قليلاً من الفاشيات الإقليمية مثل تفشي التيفوس الذي تم الإبلاغ عنه في القوات الهندية البريطانية في بورما خلال عام 1943، كما تسببت مجموعة من لقاح الحمى الصفراء الملوثة في تفشي التهاب الكبد B في ما يقرب من 28 ألف جندي أمريكي في عام 1943². ومؤخرًا، كانت الحروب أيضًا مهمة جدًا في عودة ظهور أمراض مثل الطاعون والكوليرا. وتعتبر إزالة الغابات المرتبطة بحرب فيتنام في السبعينيات، إلى جانب انهيار البنية التحتية المحلية، سببًا لعودة وباء الطاعون خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات. من جهة أخرى حفزت الحروب أيضًا على الهجرات الواسعة النطاق ممن هم عرضة لأوبئة الأمراض، مثل وباء الكوليرا بإقليم "غوما" بجمهورية الكونغو الديمقراطية، والذي تسبب في مقتل الآلاف من الأشخاص في فترة زمنية قصيرة من عام 1994. ومؤخرًا في عام 2017، تم الإبلاغ عن تفشي شلل الأطفال في سوريا بين السكان النازحين نتيجة للحرب.

المحور الثاني: النزاعات والأوبئة علاقة متبادلة: سنعالج ضمن هذا المحور كل من العناصر التالية:

1.2- الأوبئة كمحرك للنزاعات الدولية:

يصف باتريك العلاقة بين انتشار الأمراض المعدية "الأوبئة" و اندلاع الحروب الأهلية والنزاعات الدولية بـ"الديناميكية الحلزونية"، فهو يجادل بأن الدول الضعيفة ليست فقط غير قادرة على نحو كاف في منع تفشي الأمراض والتصدي لها، بل يمكن أن تزيد من ضعف الدول الهشة. ومن حدة الفقر وعدم الاستقرار، كما تساهم في تقويض مرونة الدولة في مواجهة الصدمات الخارجية. كما يجادل بأن ارتفاع معدل انتشار المرض، يمكن أن يزيد من مخاطر العنف وعدم الاستقرار من خلال تقويض آليات التكيف التقليدية للأسر، من خلال الإضرار بإنتاجيتها الاقتصادية، مما يؤدي ذلك إلى زيادة من مخاطر نقص الغذاء، وكذا حدوث اهتزاز في الهياكل العمرية للسكان. وهذه العوامل كلها تعزز

¹ Ward MC, The Microbes of War: The British Army and Epidemic Disease among the Ohio Indians, 1758–1765, East Lansing: Michigan State University Press, 2001,p.55.

² سمولمان رينو، مرجع سابق ذكره، (ص)80.

من ميل الدولة إلى حدوث الاضطرابات. وعلاوة على ذلك ، يمكن أن يساهم تفشي الأمراض والأوبئة في التسبب في فقدان الشرعية السياسية عند اختلال في توفير الموازنات الوطنية لقطاع الخدمات، وتآكل قدرة الدولة¹. في المقابل ، يوفر " بريس سميث " Price-Smith دليل تجريبي كمي لوجود علاقة سببية كبيرة مرتبطة بين معدلات الأمراض المعدية وقدرة الدولة، فهو يجادل بأن المستويات الأعلى من الأمراض المعدية تعمل على إضعاف قدرة الدولة من خلال توليد ما سماه "باضطراب" سياسي واجتماعي واقتصادي، ناهيك عن حدوث عدم الاستقرار، وهو ما يؤدي في الأخير إلى تآكل في القدرات الحكومية². ويضيف بأن الضغوط المتزايدة على الحكومة الوطنية نتيجة تزايد نسبة طلب المواطنين وتراجع قدرة الحكومة على الاستجابة لها، مع مزيج من الحرمان الناجم عن العوامل المرضية، تؤدي إلى زعزعة الاستقرار السياسي والعنف داخل الدولة³. وبشكل أكثر تحديداً، يمكن أن تؤدي المستويات العالية من الأمراض المعدية إلى حدوث زعزعة في استقرار الاقتصاديات الوطنية، وحدث انخفاض في مستويات المعيشة ودخل الفرد، مما يؤثر على الإنتاجية والتقليل من إيرادات الدولة بصفة عامة. وبالتالي حدوث نزاعات وحروب أهلية خاصة إذا عزز ذلك وجود تفاوتات و لا عدالة توزيعية في الموارد⁴.

على نفس الاتجاه يسير " فونكوا " Fonkwo، فهو يرى أن الندرة والفقر، يمكن أن تعمل كمتغيرات و ضغوط، لتخلق بذلك الفرص والحوافز للمواطنين للمشاركة في العنف الجماعي ضد الوضع الراهن. وعلاوة على ذلك، في حالة تقلص توافر الموارد، تدخل النخب السياسية في المنافسة على حصتها، فمع الاستقطاب السياسي يؤدي إلى العنف داخل النخبة (على سبيل المثال الانقلاب)، ويصبح أكثر احتمالاً إذا تفاعل مع تفشي الأمراض، باعتبار أن هذا الأخير يشكل تهديدا لرفاهية السكان على النحو الذي تضمنه الدولة. فإذا كانت الدولة غير قادرة على توفير الحماية الكافية لمواطنيها ضد تأثيرات مسببات الأمراض، فذلك يؤدي إلى اهتزاز في ثقة المواطن بالدولة ويضعف في شرعيتها. وبالتالي ، فإن الوهن والموت لا يؤديان فقط إلى الحالة النفسية السيئة بين السكان ، ولكنها تقوض أيضاً شرعية النخب الحاكمة وهياكل السلطة ، وزيادة الأنشطة المناهضة للحكومة، وتفاقم الهشاشة المؤسسية ، وعرقلة الحوكمة الفعالة⁵.

و تدعمت هذه الحجج بعمل علي آخر من إنجاز " سيرفيلاتي " Cervellati وآخرون في 2011، حيث اعتمد هذا العمل العلمي على مقياس جديد، يتمحور في فحص، فيما إذا كان التعرض للأمراض المعدية والشديدة يزيد من خطر نشوب الصراعات والنزاعات الأهلية. فهم في تحليلهم ، يستخدمون تحليل انتشار الأوبئة وعلاقتها بالعوامل الداخلية المرتبطة بالتنمية الاقتصادية والظروف الاجتماعية والاقتصادية (مثل جودة البنية التحتية الصحية، التعليم والظروف الصحية العامة). لهذا الغرض، يستخدمون بيانات التوزيع الجغرافي لمسببات الأمراض المعدية المستوطنة في بلد ما مع الاعتماد على مؤشرات خارجية من حيث كونها غنية أو فقيرة. ووصلوا إلى نتيجة أن شدة تفشي المرض، له قوة إحصائية

¹ S. Patrick, Weak Links: Fragile States, Global Threats and International Security. Oxford: Oxford University Press, 2011, p.236.

² سميث برايس، صحة الأمم: الأمراض المعدية والتغير البيئي وأثارها على الأمن القومي والتنمية، كامبريدج: معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ، 2002 ، (ص).22.

³ المرجع نفسه، (ص).171.

⁴ المرجع نفسه، (ص).115.

⁵ المرجع نفسه، (ص).124.

وكمية ذات صلة بمخاطر الصراع الأهلي، ويفترضون أن التعرض القاسي للبلدان الضعيفة اقتصادياً - التي تتميز بسوء الإدارة الصحية، وانتشار معدلات الوفيات المرتفعة للمرض، تزيد من تكاليف الفرصة البديلة للانخراط في الأنشطة العنيفة¹.

2.2 الأوبئة كمرادف للاستقرار:

بالاعتماد على الأعمال السابقة "ماكس وير"، "أوتوهينتز"، "تشارلز تيلي"، "جورجسميل"، "وأخرون، جادل" مايكل ديش" في مقالته عام 1996 بعنوان "الحرب والدولة القوية، السلام و الدولة الضعيفة؟"، نجد أن الحرب والتهديدات الخارجية هي الأكثر العوامل المهمة في تفسير ظهور واستقرار الدول القوية والمستقرة، والتمسكة اجتماعياً، كما يقابله إجماع بين المؤرخون وعلماء الاجتماع، أن الحروب والتهديدات الأمنية الخارجية كانت أهم العوامل في ظهور الدول ونظام ويستفاليا. ويتوقع " ديش" بدوره أن نهاية الحرب الباردة أضفت انخفاضاً في المنافسة الأمنية الدولية، وسيؤدي ذلك إلى تراجع كبير في بيئات التهديدات الخارجية، والتي بدورها سوف تؤدي إلى تقليل من تماسك العديد من الدول، حيث أنها تدفع إلى التقليل من الوظائف التي يجب أن تتولاها الدولة (مثل الدفاع العسكري)، وفي المقابل تستعيد الانقسات داخل المجتمع بروتها من جديد نتيجة لغياب تهديد خارجي موحد. وفي الحالات القصوى، عدم وجود تهديد خارجي قد يؤدي إلى انهيار الدولة².

والحجة التي يستند إليها " ديش" أن التهديدات الخارجية، قد تساعدنا في تعزيز التماسك داخل المجتمع، فمثلاً ساهم تفشي وباء إيبولا في حدوث استقرار سياسي، إذ كان يُنظر إلى الإيبولا على أنه تهديد خارجي كبير لسكان غرب إفريقيا وخاصة في سيراليون، وهذا ما دفعهم إلى التقليل من الأنشطة التخريبية ضد الدولة، وهو ما ساهم في حدوث استقراراً داخلياً ولو مؤقتاً³.

3.2 الهجرة كسبب تفشي للأوبئة:

قد تتعرض التجمعات السكانية المتضررة لفترات محددة من العنف - من نزاع طويل الأمد (سنوات إلى عقود)، أو عواقب طويلة المدى لحرب سابقة (طويلة الأمد عادة)- إلى نزوح مجموعات كبيرة من السكان إلى مستوطنات أو مخيمات مزدحمة وإلى ملاجئ بدائية، التي تتميز بعدم كفاية المياه الصالحة للشرب و غياب قنوات الصرف الصحي، وكذا الزيادة في التعرض لنقلات الأمراض خلال المرحلة الحادة من حالة الطوارئ.

ففي المواقف التي طال أمدها وما بعد الحرب، قد يكون لدى السكان معدلات عالية من الأمراض والوفيات بسبب انهيار النظم الصحية، وكذا البنية التحتية المدمرة. وقد يكون هؤلاء السكان النازحين أكثر عرضة للإصابة بالعدوى والأمراض بسبب المستويات المرتفعة من نقص التغذية أو سوء التغذية، أو انخفاض في عمليات التغطية للقاحية، أو الإجهاد الطويل الأمد. هذه العواقب طويلة المدى للحرب الأهلية تؤثر على دول بأكملها (مثل أنغولا أو جمهورية الكونغو الديمقراطية أو أفغانستان) بسبب النقص الحاد في الاستثمار في الصحة والتعليم والأشغال العامة. هذه الظروف، التي نواجهها أثناء أو بعد الحرب والصراع، تساعد على ظهور الأمراض المعدية، حيث غالباً ما تشمل على العديد من عوامل

¹ M. Cervelati, U. Sunce, Disease Environment and Civil Conflicts , 2011, pp.2-3.

² Em. Desh, War and Strong Countries, Peace and Weak Countries? , 1996, p. 237.

³ Ibid.

الخطر المتداخلة ، فمثلا: تم القضاء فعليًا على الملاريا في طاجيكستان في أوائل الستينيات من القرن الماضي ، وقبل عام 1992 تم الإبلاغ عن 200 إلى 300 حالة ملاريا فقط سنويًا في هذه البلد بسبب النزوح الجماعي لسكان أفغانستان الذين هربوا من الحرب الأهلية وبحلول عام 1997 ، تم الإبلاغ عن 29794 حالة سنوية¹.

وتم توثيق ظهور حمى " لاسا" في المخيمات المتواجدة في المناطق غير الموبوءة بالأمراض في غرب إفريقيا، ويعود ذلك لسوء حالة المساكن وتخزين حصص الحبوب في أكياس قماش غير آمنة ، وبالمثل ، أدت الظروف البيئية الغير الصحية بسبب النزاع إلى تكاثر الفئران في كوسوفو ما بعد الحرب، وأدت إلى تفشي مرض " التولاريميا" بين السكان النازحين، فقد تم تسجيل ما بين أوت 1999 حتى أبريل 2000 ، 327 حالة مؤكدة مصليًا في 21 من 29 بلدية².

كما ساهمت الهجرة القسرية للسكان الناجمة عن الصراع أيضًا في عودة ظهور الحمى الصفراء في إفريقيا، بدأ هذا الانبعاث مع الوباء في عام 1990 في الكاميرون، ثم انتشر بعد ذلك في غرب إفريقيا، والتي كانت تعتبر منذ عام 1995 المنطقة الأفريقية الأكثر تضرراً. حيث سجلت حدوث ستة فاشيات متعددة في 6 دول منها: أنغولا (1988) ، ليبيريا (1995) ، 1996 ، 1997 ، 2000 ، 2001 ، 2004) ، سيراليون (2003) ، وكوت ديفوار (2000 و 2001) ، وغينيا (2001 و 2005) ، والسودان (2003 و 2005).

4.2 الأوبئة ومسارات النزاعات:

لدراسة العلاقة بين المتغيرين الأوبئة والنزاع، من الناحية النظرية وضع المفكرون، ثلاثة مسارات على الأقل يمكن من خلالها فهم كيفية تأثير الأمراض والأوبئة على النزاعات، والحروب: (أنظر الشكل رقم 1)

*- من خلال التأثير على توازن القوى النسبي بين الأعداء.

*- وتوليد الخلافات بين الدول حول سياسات الصحة، وحقوق الإنسان.

*- إحداهن عدم استقرار محلي.

ومن الناحية العملية يمثل المسار الأخير أكثر أهمية، ولكن فقط لبعض الدول. فبالنسبة للولايات المتحدة، يشكل الصراع الناجم عن الأوبئة تهديدًا أمنيًا غير مباشر وطويل المدى عن طريق تغيير ميزان القوى. هذه الأخيرة تشير إلى العلاقة المفترضة بين المرض والحرب، والتي تؤسس على أن الأوبئة الكارثية، قد تغير في ميزان القوى بين المنافسين. وهذا ما يؤكد الباحثون الواقعيون للسياسة الدولية من خلال أن التحولات في القدرات النسبية للدول، والتي يمكن أن تعجل بالحرب، لا سيما عندما يرى القادة الوطنيون أن التوازن يتحول ضدهم.

¹ أنظر تقرير منظمة الصحة العالمية، "حالة الملاريا في العالم في عام 1994.

² R. Reintjes, I. Dedushaj, et al., Tularemia outbreak investigation in Kosovo: case control and environmental studies, 2002, p.73.

الشكل (1): العلاقة بين الأوبئة والنزاع العسكري.

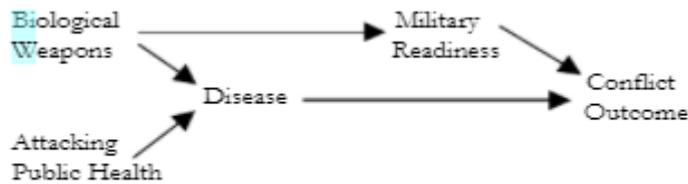


المصدر: Chow, "Health and International Security."2000.P.20

وبالمثل يقترح بعض مفكري الأمن البيئي أن التهديدات البيئية الشديدة يمكن أن تزعج ميزان القوى الدولي، وتزيد من مخاطر الصراع العسكري، بما في ذلك الحرب الوقائية. فقد تكون هذه الحرب الأخيرة مرجحة بشكل خاص أثناء أو بعد اندلاع المرض إذا ظلت إحدى الدول محصنة نسبياً من المرض. كما يمكن أن تؤثر الأمراض والأوبئة على مسار الصراع العسكري ونتائجه.

ومن الناحية النظرية، يمكن أن تكون الأمراض "عوامل توقف الحرب" أو "محددات نتائج الحرب" (أنظر الشكل رقم 2)، مما يساهم في انتصار أحد الطرفين وهزيمة الطرف الآخر، وذلك اعتماداً على تأثيرهما المتباين على الخصوم، كما يمكن للمرض أن يؤثر على نتيجة الصراع المعاصر بثلاث طرق على الأقل: النشر المتعمد للعوامل البيولوجية، الحصول على الأدوية واللقاحات بالوسائل التقليدية للصحة العامة؛ وأخيراً التأثير غير المقصود للمرض الوبائي على الاستعداد العسكري.

الشكل (2): المرض ونتائجه على الصراع العسكري.



المصدر: Chow, "Health and International Security."2000.P.20

فمنذ نهاية الحرب الباردة ارتفت ما يسميه جاك تشاو الحرب "الإنسانية" - الحرب العدوانية من خلال السيطرة على الاحتياجات الإنسانية الحيوية وحرمانها"، والتي تقوم على تكتيكان، والذين يعتمدان على علاقة المرض بالأمن القومي. وهو ما يسميه تشاو كذلك "الحرب بالمجاعة" فهو يؤكد على القيمة السياسية والإستراتيجية للغذاء والصحة. في السودان والصومال وإثيوبيا مثلاً، كافح الجنود وأمرء الحرب للسيطرة على الإمدادات الغذائية، كوسيلة لزيادة قوتهم العسكرية والسياسية. هذا الاستخدام المتعمد للمجاعة ينشر حتماً الأمراض، وذلك نظراً للعلاقة بين سوء التغذية والمرض. أما ما يسميه تشاو "الحرب بالحرمان" وهو أوسع إلى حد ما والذي يتضمن "القطع المتعمد للطعام ونشر الأمراض، ففي السودان، على سبيل المثال، استهدفت القوات الحكومية المستشفيات بشكل بسيط. في كوسوفو،

استهدف الرئيس اليوغوسلافي "سلوبودان ميلوسوفيتش" الرعاية الطبية في الفترة ما بين 1989-1990 عندما أمر بطرد آلاف المهنيين الألبان ، وأغلق 75 في المائة من جميع المرافق الطبية التي تديرها الدولة، وقد ساهم هذا في انتشار 170 وباء بين عامي 1990 و 1998، كما مُنع الألبانيون من تلقي الرعاية الطبية - التي حصل عليها الصرب مجاناً - أو أجبروا على دفع تكاليفها ، كما تم تدمير العديد من المستشفيات والعيادات الخارجية عمداً.

المحور الثالث: دراسة نموذج - تأثير وباء كورونا على النزاعات في العالم-

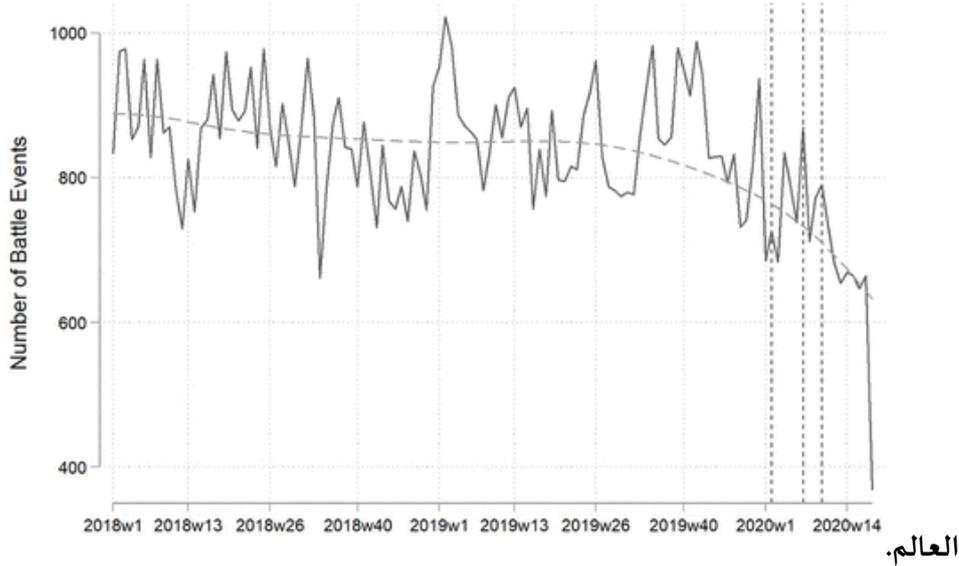
مع انتشار Covid-19 في جميع أنحاء العالم ، دعت الجهات الفاعلة الدولية، بما في ذلك الأمم المتحدة، إلى وقف الصراع المسلح لتسهيل جهود مكافحة الوباء، وهو ما جاء على لسان أمينها العام " أنطونيو غوتيريس " ، من خلال الدعوة إلى وقف إطلاق نار عالمي من أجل "إنشاء ممرات للمساعدات المنقذة للحياة ، وفتح نوافذ ثمينة للدبلوماسية"¹، وبالتالي تسهيل وقف انتشار كوفيد-19 بين الفئات الضعيفة من السكان في البلدان التي مزقتها الحروب. وفي الوقت نفسه، تنطلق دعوة الأمين العام من المخاوف التي تستند على أن فيروس كورونا، قد يؤدي أيضاً إلى اندلاع الصراع المسلح، أو استمراره في المناطق التي تعرف نزاعات، باعتبار أن هذا الأخير يعيق من جهود مكافحة فيروس كورونا، وبالتالي يكون بمثابة محفز له. وفي الوقت نفسه، قد يشعل الوباء القتال، ويؤججه بسبب عواقبه الاقتصادية السلبية من خلال اعتباره نافذة، يوفرها لحركات المعارضة لاستهداف الحكومة.

لذلك نعلم في دراستنا لدراسة تأثير لـ Covid-19 على النزاع المسلح على البيانات الدقيقة المؤقتة حول انتشار Covid-19، والاستجابات الحكومية، وواقع المعارك في العالم، والتي تم الاستعانة بها من خلال مقال: لـ " ماريوس مهيل " ، " بول دبليو ثورنر " تحت عنوان " تأثير جائحة Covid-19 على الصراع المسلح العالمي: الأدلة المبكرة" الذي تم نشره لأول مرة في 13 أوت 2020²، ويعتمد المقال على تحليل البيانات لمنحى انتشار النزاعات في العالم من خلال التقارير الأسبوعية التي توفرها الدول. أنظر (شكل 3).

¹ أنظر تصريح الأمين العام حول الدعوة إلى إيقاف النزاع المسلح في العالم، 2020.

² أنظر ماريوس مهيل، بول دبليو ثورنر، تأثير جائحة Covid-19 على الصراع المسلح العالمي: الأدلة المبكرة"، 13 أوت 2020.

شكل رقم (3): منحني بياني يمثل واقع النزاعات الدولية في



المصدر: ماريوس مهمل، بول دبليو ثورنر، تأثير جائحة Covid-19 على الصراع المسلح العالمي: الأدلة المبكرة"، 13 أوت 2020، ص.14.

انطلاقاً من الشكل (رقم 3) تقدم الخطوط الأفقية الصلبة والمتقطعة العدد الأسبوعي الفعلي للمعارك، والذي استخدم فيها مخطط التشتت الموزون محلياً (عرض النطاق الترددي: 0.8). تشير الخطوط العمودية المتقطعة إلى الأسابيع 2020W2، 2020W7، 2020W10، منذ الإبلاغ عن الحالة الأولى إلى غاية تخطيها 10 آلاف حالة.

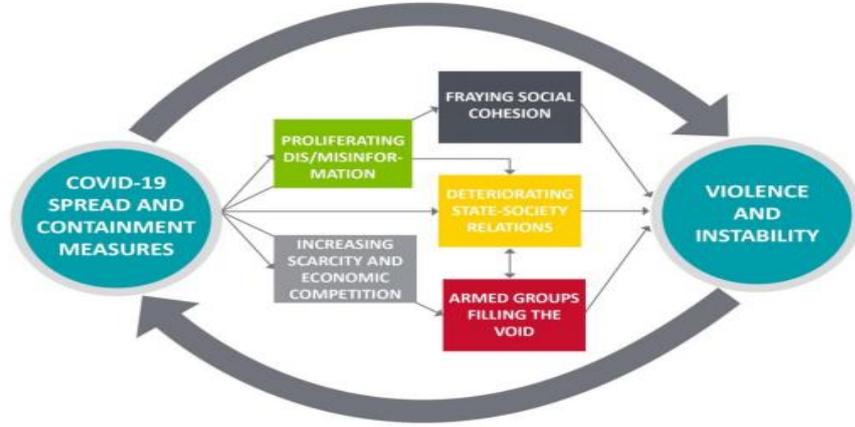
وتشير النتائج كما نلاحظ في الجدول إلى أن عدد المعارك قد انخفض خلال جائحة Covid-19، حيث كانت أعدادها الأسبوعية أقل في الفترة التي تلت الحالة الأولى عنها في تلك الفترة السابقة، وتناقصت بشكل رتيب تقريباً منذ الإبلاغ عن الحالة الألف، كما أن عدد أحداث المعارك أثناء الجائحة أقل مما كان عليه في نفس الأشهر في عامي 2018 و 2019. وهذا ما يقدم بعض الأدلة على أن النزاع المسلح العالمي، إذا تم قياسه من خلال العدد المبلغ عنه من المعارك الأسبوعية، قد انخفض أثناء جائحة الفيروس التاجي "كوفيد-19". على شاكلة ما حدث في الفلبين وليبيا وكولومبيا.

وهذا ما يدعو إلى للتفاؤل. ومع ذلك، يمكننا تقديم انتقادات لهذه الدراسة باعتبار أن عدد حالات وقف إطلاق النار هذه تبقى محدودة جداً. وفي الوقت نفسه، يجادل بعض المحللين بأن Covid-19 قد يؤدي إلى ما يسمى بـ "Pax Epidemica" حتى بدون وقف إطلاق النار، لأنه يقلل من القدرات العسكرية للدول وتفاؤلها بالقتال. في حين أن مثل هذا الانخفاض في القتال من شأنه، أن يسهل بشكل واضح الجهود المبذولة للتصدي للوباء، إلا أنه لا يزال من غير الواضح ما إذا كان الحد من العنف يحدث ذلك بالفعل.

وبدلاً من ذلك، من الممكن أيضاً أن يكون الفيروس يوجب الصراع المسلح بطرق أخرى غير معترف بها حالياً، حيث يشهد الاقتصاد العالمي بفعل Covid-19 تقلصات كبيرة مع ارتفاع في معظم أسعار السلع الأساسية¹.

¹ أنظر تقرير البنك الدولي حول تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي، رقم EFI/173/2020، 23 أبريل 2020.

الشكل (4): تأثير COVID-19 على الصراع



المصدر: ADVANCING PEACE IN A CHANGED WORL COVID-19 effects on conflict and how to respond, 2020,p.2

ومن المتوقع أن تتأثر البلدان النامية بشكل خاص، وأن تشهد زيادة في معدلات الفقر هذه الظروف الاقتصادية المتدهورة، يمكن أن تؤدي إلى اشتعال القتال وتكثيفه، حيث يتم تجنيد الأفراد المحرومين اقتصاديًا في الجماعات المتمردة، وهذا ما يؤدي بدوره إلى زيادة النزاع المسلح بشكل غير مباشر بسبب آثاره السلبية على الاقتصاد. على سبيل المثال، اندلعت احتجاجات عنيفة في لبنان بسبب العواقب الاقتصادية لـ Covid-19 والإغلاق الذي فرضته الحكومة لإيقافه، بينما في اليمن والصومال، تسعى الجماعات المتمردة إلى تجنيد مقاتلين جدد من بين المحرومين والمتأثرين اقتصاديا من أزمة الوباء. بما في ذلك المنظمات المتطرفة العنيفة (VEOs)، حيث تستفيد من المظالم المتزايدة واستجابات الحكومة الباهتة، وضعف مؤسسات الدولة، وزيادة التشرذم الاجتماعي، وتعمل على توسيع نشاطهم وتأثيرهم، وكسب المتعاطفين والمؤيدين.

كما ساهم الوباء في تدهور العلاقات بين اليمينيين، والمهاجرون من القرن الأفريقي، المتهمون بجلب الفيروس إلى البلاد. وفي إثيوبيا، اشتدت التوترات بين الفصائل السياسية بعد قرار تأجيل انتخابات أوت 2020 بسبب COVID-19، وهذا ما يمثل تحديًا كبيرًا لاستمرار التحول الديمقراطي في إثيوبيا.

كما عرفت مالي، احتجاجات ضد إدارة الحكومة لوباء COVID-19، وتلك التي تطالب برحيل الرئيس - الذي بلغ ذروته في انقلاب عسكري في 18 أوت، وكان السكان يعتقدون أن الحكومة كانت تستخدم الجائحة كأداة سياسية. أما في أوغندا، أدى الاستخدام المفرط للقوة من قبل الشرطة وقوات الأمن إلى تعميق العداء بين المواطنين والدولة. إذ استخدمت الشرطة في كمبالا الغاز المسيل للدموع والذخيرة الحية لتفريق التجار، الذين كانوا يدعون إلى إعادة فتح المحلات التي تم إغلاقها من طرف الحكومة، وهو ما أسغله كبار قادة المعارضة في أوغندا.

وهناك أمثلة كثيرة عن علاقة جائحة كوفيد-19 - بإشعال فتيل الصراعات والنزاعات في دول العالم.

خاتمة:

باستخدام الأدلة السابقة، نرى أن هناك علاقة بين تفشي الأمراض الوبائية وحدوث النزاعات، والتي يمكن تحديدها في ما يلي:

1- قد يولد صراعًا عنيفًا من خلال خلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي المحلي.
2- يؤدي المرض الوبائي تاريخيًا إلى تغيير نتائج النزاعات الدولية، ولا يزال هذا ممكنًا حتى يومنا هذا. ويمكن أن تكون العوامل البيولوجية - بما في ذلك المعرفة الوبائية - أسلحة حرب وبالتالي تهدد الأمن بشكل مباشر وفوري. وقد يستهدف المقاتلون الصحة العامة وينشرون المرض لإضعاف وإحباط معنويات السكان الأعداء. أو يمكن أن تقلل الأمراض والأوبئة من الجاهزية العسكرية في البلدان الأشد تضرراً.
توضح الأوبئة، مثل فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز والإيبولا، وكورونا.. الخ، أن التعرض للأمراض المعدية يزيد من خطر نشوب النزاعات المسلحة، ويميل الصراع بدوره إلى تفاقم انتقال المرض وكذا إعاقة الاستجابات الصحية.

والأوبئة لها تأثير مماثل للصدمة الخارجية الأخرى، مثل الكوارث الطبيعية (الأعاصير والزلازل والفيضانات والجفاف، الارتفاع الشديد في درجات الحرارة)، ناهيك عن الأزمات الاقتصادية - كالانخفاض في الصادرات -، وكلها مرتبطة باندلاع أو اشتداد الصراع. من ناحية أخرى، يمكن أن توفر الأوبئة وفي مقدمتها جائحة COVID-19 فرصًا للحكومات والجهات المانحة والممارسين لتحفيز بعض الاتجاهات الإيجابية نحو السلام مع الحد من العواقب السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أثارها. قبل أن تتراجع هذه الفرص، يجب على المجتمع الدولي، أن يضمن ذلك الأمر، وذلك من خلال معالجة دوافع الصراع - تلك التي سبقت الجائحة، وتلك التي حدثت وتفاقمت بسببها، مع توقع أسوأ الآثار في السياقات المتأثرة بالصراع. ويشير التاريخ إلى أن تأثيرات تفاقم الصراع يمكن أن تستمر الأوبئة لسنوات بعد انتهاء تفشي المرض.
وفي الأخير نقترح مجموعة من التوصيات لصانعي السياسات والممارسين والتي يجب الأخذ بها في عين الاعتبار وهي:

- *- دمج حساسية النزاع في جميع استجابات الأوبئة وخاصة جائحة كورونا COVID-19.
- *- معالجة تأثير الأوبئة وجائحة COVID-19 على ديناميكيات الصراع من خلال تعزيز التماسك الاجتماعي، وتحسين العلاقات بين الدولة والمجتمع.
- *- مكافحة سوء/ التضليل، وتقديم المساعدة الاقتصادية اللازمة للدول المتأثرة.
- *- اغتنام "نوافذ الفرص" التي أنشأتها الاضطرابات المرتبطة بالأوبئة - لتعزيز السلام.

قائمة المراجع

1- الكتب:

01- سمولمان رينو ، كليف م ، أوبئة الحروب: جغرافيا تاريخية للأمراض المعدية في الصراع العسكري والحرب الأهلية ، 1850-2000، نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد ، 2004.

02- سميث برايس ، صحة الأمم: الأمراض المعدية والتغير البيئي وآثارها على الأمن القومي والتنمية، كامبريدج: معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ، 2002.
ب-المجلات:

01- ماريوس مهمل، بول ديليو ثورنر، تأثير جائحة Covid-19 على الصراع المسلح العالمي: الأدلة المبكرة"، 13 أوت 2020.

ج-التقارير

01- تصريح الأمين العام حول الدعوة إلى إيقاف النزاع المسلح في العالم، 2020.

02- تقرير منظمة الصحة العالمية، "حالة الملاريا في العالم في عام 1994.

03- تقرير البنك الدولي حول تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي، رقم EFI / 173/2020 ، 23 أبريل 2000.

د- المراجع باللغة الأجنبية

01- ADVANCING PEACE IN A CHANGED WORL COVID-19 effects on conflict and how to respond,
2020

02- Chow, "Health and International Security."2000.

03- Em. Desh, War and Strong Countries, Peace and Weak Countries? , 1996.

04- M .Cervelati, U. Sunce, Disease Environment and Civil Conflicts , 2011.

05- North J, The Death toll of Justinian's plague and its effect on the Byzantine empire. 2013.

06- R. Reintjes, I .Dedushaj, et al., Tularemia outbreak investigation in Kosovo: case control and environmental studies.,2002

07- S. Patrick, Weak Links: Fragile States, Global Threats and International Security. Oxford: Oxford University Press,2011.

08- Ward MC, The Microbes of War: The British Army and Epidemic Disease among the Ohio Indians, 1758–1765, East Lansing: Michigan State University Press, 2001.